عندما يكون التطور السابق قد أوجد المفترضات الموضوعيـــة الضرورية كحجم الطبقة الاجتماعية ووحدتها التنظيمية الخ»(٣). لكن الحالة التي تتواجد فيها ظروف ملائمة للتغير الاجتماعي غالبا ما يخلقها العمل الجذري الراديكالي . اي بكلام آخر ، لا يمكن خلق الرغبة في تغيير الاوضاع القائمة فقط عندما تتوفر « المفترضات الموضوعية » او عندما « تنضج » الاوضاع . في الواقع ، كما يقول كولاكوسكي ، ان بعض الشروط الرئيسية لهذا النضوج هي « المتطلبات الثورية من وضع غير ثوري »(٣). التشديد هنا على الوعي الاجتماعي كعامل تغيير رئيسي . الافتراض الاساسي هو ان « التأثير المستمر للوعي الاجتماعي هو أحد الشروط الضرورية لانضاج التاريخ ليصل لدرجة التغيير الجذري»(٤). وهكذا فان الانتكاسات والهزائم التي تأتي نتيجة محاولة تحقيـــق ما يبدو غير ممكـــن التحقيق في تلك اللحظة ، هي على المدى الطويل الشروط الوحيدة للنجاح : « الاهداف التي لا يمكن تحقيقها الان لن تتحقق ابدا الا اذا جرى توضيحها عندما تبدو غـــير قابلة للتحقيق »(٥). او بكلام آخر « المستحيل في وقت معين قد يصبح ممكنا فقط اذا جرى طرحه عندما يكون مستحيلا »(٦). فان « الجهود غير الواقعية تصبح الشروط المسبقة للجهود الواقعية »(٧) في مجال العمل الاجتماعي . ويجد الفلسطينيون في هذا الكلام أبلغ تعبير عن مشروعهم الثوري . انهم مقتنعون أن قوة ثورية صغيرة نسبيا قادرة احيانا على احداث تغيير جذري في الوضع القائم . وقـــد عبر دانيال كوهن بنديت ، الشاب الالماني الراديكالي ، عن ذلك بقوله : « لقد ثبت ان مجموعات ثورية صغيرة قادرة ، في الزمان والمكان المناسبين ، على تمزيق النظام القائم بشكل حاسم ونهائي »(٨).
يمكننا فهم المستقبل بامكانياته الملموسة فقط عندما نفهم الحاضر بظواهره الملموسة . وكما قال ريجي دوبريه : « البصيرة رؤيا صحيحة للواقع الملموس »(٩). لكن التحليل الصحيح لا يمكنه ان يقتصر على ما يجري الان ، وعليه التوجه الى « ما لم يخطط له او يتوقع »(١٠).
يمكن القول بشكل عام ان هناك طريقتين للنظر الى الاحداث ولتفسير التاريخ ولفهم الحقيقة . هناك الطريقة الوضعية empirical (التجريبية العملية) والطريقة الجدلية (الثورية). من وجهة نظر اليقيني تتألف الحقيقة مما تكشفه الحواس والعقل. فالسببية تربط الاشياء والاحداث ، بحيث تكون ظاهرة معينة السبب في ظاهـــرة اخرى . هذه الطريقة خارجية ووصفية ومقدارية quantitative. ان ما يدركه الانسان حسيا على انه يمثل الواقع والترابط يصلح فقط ، من وجهة النظر اليقينية ، لان يكون المجال الحقيقي للتحليل . تصبح الهزيمة ، على أساس هذا الموقف ، انهيارا ، ويكون القول بأن الهزيمة تؤدي الى النصر بلا معنى ، ويساوي عندئذ القول بأن الموت يؤدي الى الحياة . ويؤدي التناقض ، ضمن هذا الاطار النظري ، الى طريق مسدود لانه لا يمثل شيئا سوى النقيض في مواجهات منغلقة متبادلة . باختصار ، كل العلاقات الجدلية (الديلكتاكية) مفقودة في هذه الطريقة من التفكير .
الطريقة الوضعية ، مـــن الوجهة السياسية والعقائديـــة ، تدعم النظام القائم . من الطبيعي ان يتلاءم اسلوب هذه الطريقة مع الموقف التدريجي غير الثوري للوضع القائم. هذا/هو اسلوب اليمين كله ، من المعتدل الى الرجعي . ان التصور اليقيني للتاريخ هو تصور حاضر لا نهاية له . ويميل اليقيني الى الرضوخ والاستسلام للوضع القائم حاليا. وهدف جهود اليقينية العملية هو المحافظـــة على استقرار النظـــام وتوازنه . وتهدف اليقينية ، من الناحية السياسية ، الى المحافظة على ميزان القوى في الوضع القائم من خلال السيطرة بواسطة القوة او بالتسوية والتفاهم . وهكذا يهدف الاستعمار الليبرالي، بواسطة « تحديث » مجتمع ما او باستعمال القوة العسكرية ، الى توسيع وترسيخ الاستغلال والتحكم وذلك من خلال المحافظة على بنيان القوى الحالي .
اما الطريقة الجدلية او الثورية فتعتمد في النظر الى الامور عـــلى أسلوب لا يقف عند